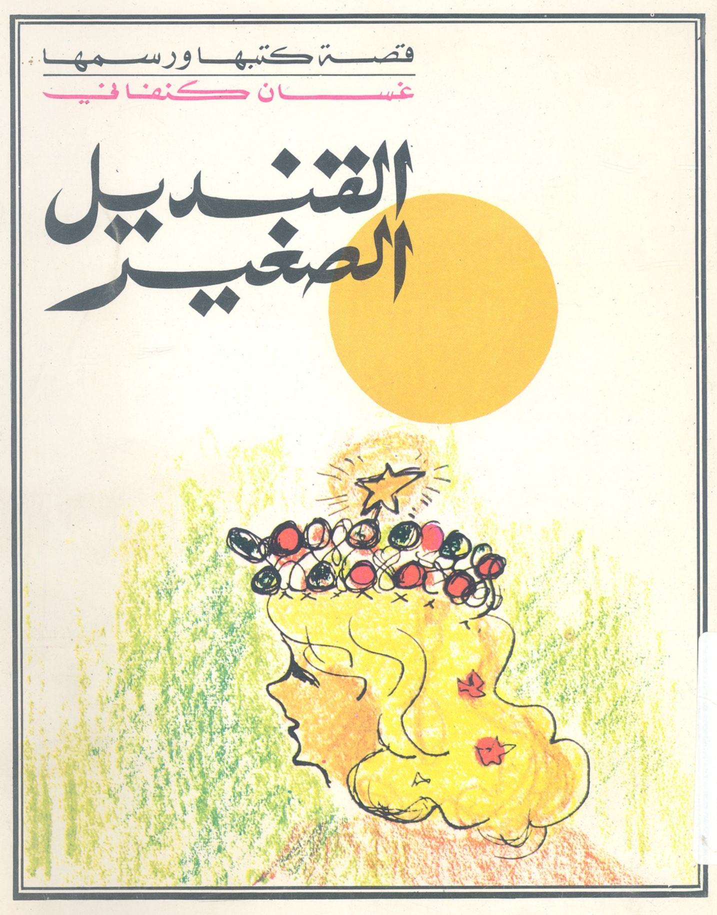
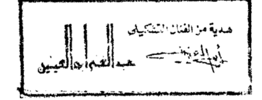

قصة كتبها ورسمها
غسان كنفاني
القنديل الصغير

سلسلة الأفق الجديد

قصة كتبها ورسمها
غسان كنفاني



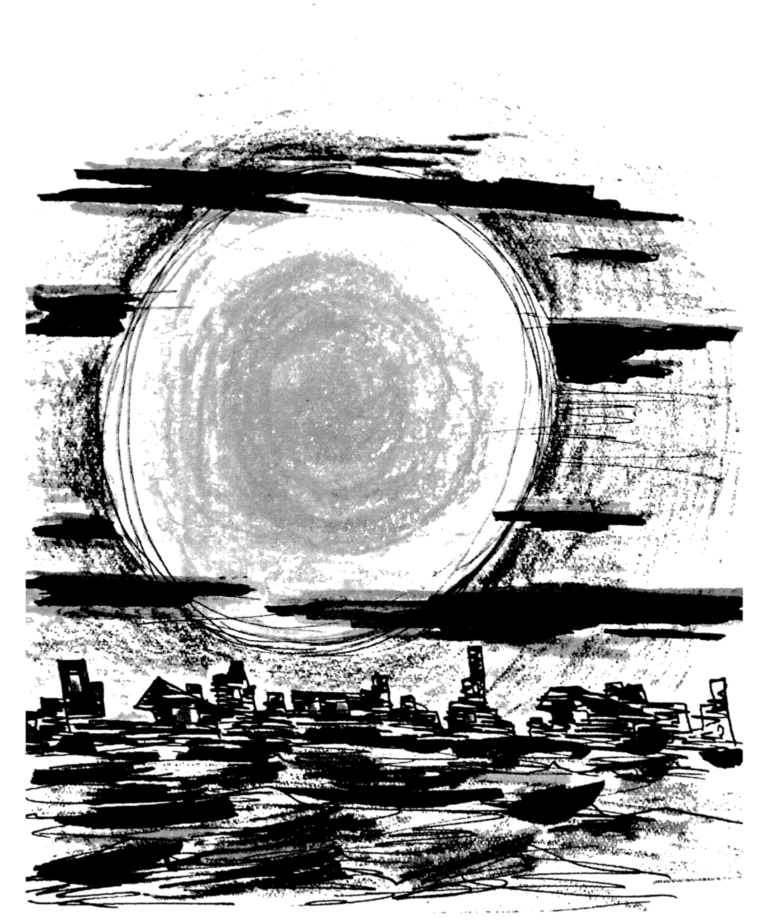




الطبعة الأولى يناير (كانون الثاني ١٩٧٥ / 1975)
الطبعة الثانية أغسطس (آب ١٩٧٧ / 1977)
الطبعة الثالثة مايو (آيار ١٩٨٠ / 1980)

دار الفتى العربي

صحَتِ المدينةُ ذاتَ صباحٍ
على خبرٍ أليمٍ مُحْزِنٍ : لقد
ماتَ الملكُ الطيِّبُ العجوزُ الذي حَكم
طَوالَ عُمرِهِ بالعدلِ وأحَبَّه
كافةُ الناسِ ... وقد حزِنَ الجميعُ
أكثرَ لأنَّ الملكَ لم يكنْ قد تركَ
سوى ابنةٍ صغيرةٍ ليسَ
بوسعِها أن تحكُمَ . . . .

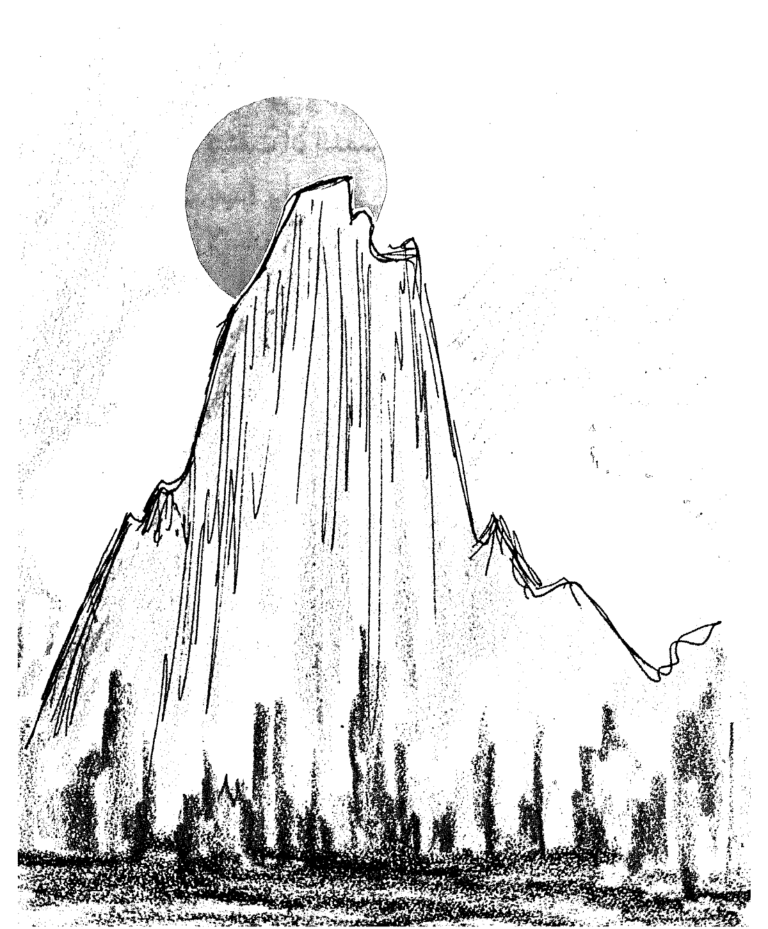


ولكنَّ الملك كان قد ترك ايضا
وصيةً لابنته الصغيرة قال
فيها شيئاً قليلا جدا ... قالَ
كي تُصبحي ملكةً
يجبُ أن تحملي الشمس
الى
القصر

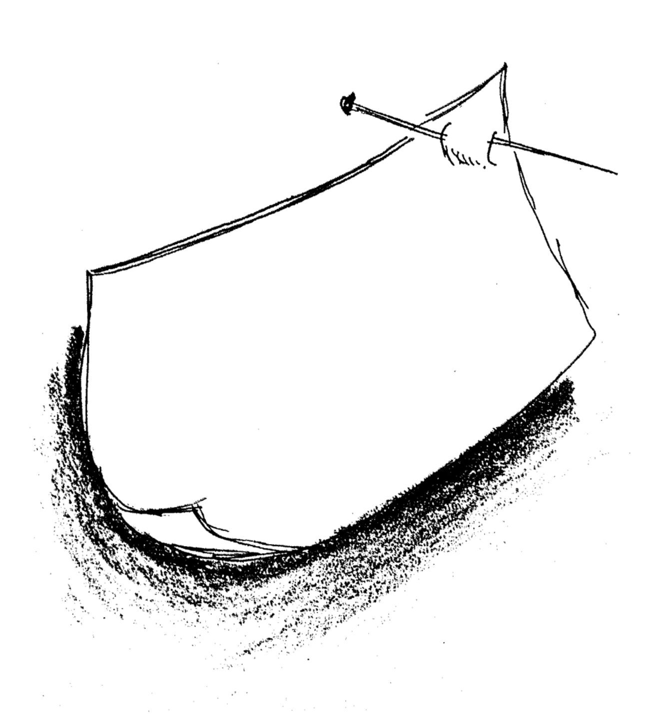
وقال الملكُ في وصيته القصيرة أيضا « واذا لم تستطيعي حَمْلَ الشمسِ الى القصر فإنَّكِ ستقضينَ حياتَكِ في صُندوق خشبي مُغلَقٍ عِقاباً « لك »

وبعد أنْ قرأتِ الأميرةُ الصغيرةُ الوصية استدعَتْ حكيمَ القصرِ وأخبرتهُ أن أباها قد كلَّفها بمُهِمَّةٍ عَسيرةٍ وأنَّها لا تريدُ أنَ تكونَ ملكةً أبداً » ..

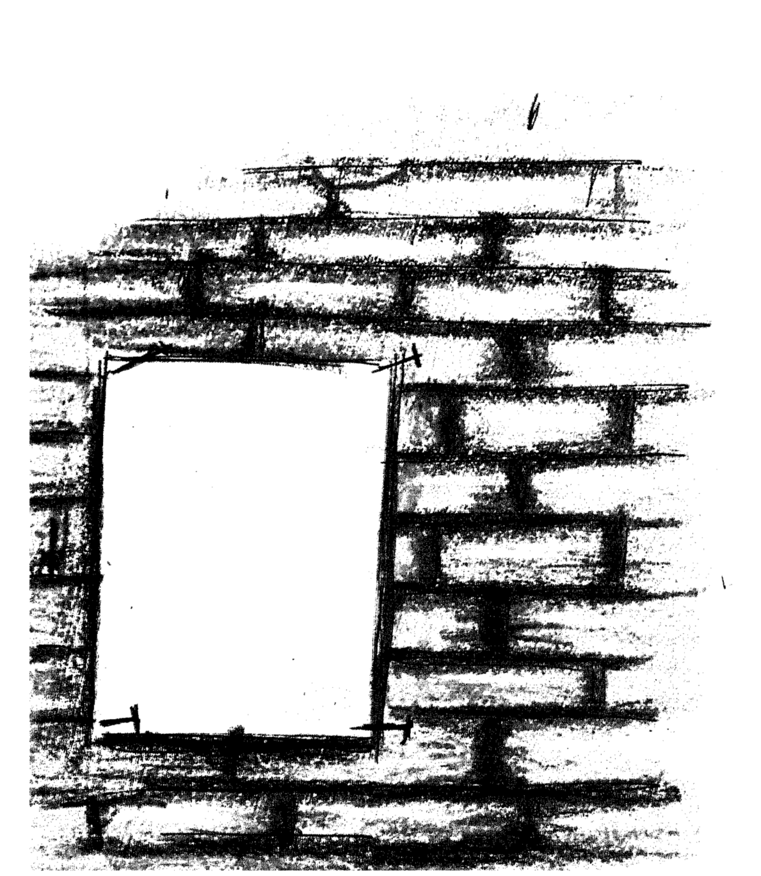
إلا أنَّ الحكيمَ العجوزَ قالَ لها : ان
قوانين المملكةِ المكتوبةِ منذُ زمن
بعيد تُحرِّمُ على الأمير أو الأميرة أن يرفضا
الحُكْم وقال الحكيمُ العجوزُ :
« إن ابنةَ المَلِكِ لا تستطيعُ إلا أن
تكونَ أميرة .. وقد عاشتْ
مملكتُنا بسعادة دائمة لان
كلَّ واحدٍ فيها يعرفُ واجبهُ ولا
يهربُ منه ، وقد كانَ والدُكِ
الملكُ حكيما حين قالَ لكِ إنَّ
عَليك إحضارَ الشمس الى القصرِ او العيشَ في صُندوق »
وفي صباح اليوم التالى قَررتِ الاميرة ان تَتسلَّقَ
الجبل العالِي الذي تمرُّ من جانبه الشمسُ في كلِّ يومٍ ،
وقد سألتِ الأميرةُ الحكيمَ عن رايهِ في خُطَّتِها فقالَ
لها الحكيمُ : « أيتَها الاميرةُ الصغيرةُ يَجبُ أنْ تُحْضِرِى
الشمسَ دونَ مساعدةِ أحَد » .
وهكذا بدأت الاميرةُ تتسلقُ الجَبَل العالي . . .



ولكنَّ الاميرةَ حين وصلت الى قمة
الجبل اكتشفَتْ أنَّ الشمسَ
ما تزالُ بعيدةً وأنه
لا يُمكنُ لإنسانٍ أن يُمْسِكَ
الشَمسَ .. فعادَتْ الى
القصر حزينةً وأغلقَتْ
غرفتَها بالمِفْتاحِ
وأخذَتْ تبكي .
وبعدَ يومينِ
شاهدَتِ الاميرةُ الحزينةُ
ورقةً صغيرةً
تحتَ بابِ غرفتِها فركَضتْ
وأخذَتْ تقرأُها ..
كان فيها جُملةٌ صغيرةٌ
هي :
« لن تستطيعي
أن تجدي الشمسَ في غرفة مُغْلَقةٍ »



واحتارت الأميرةُ لأنّها لم
تَعرف صاحبَ الخطِّ الذي كتب تلكَ
الجُملةَ الصغيرةَ ، ولكنَّها
قررتْ أنْ تُواصلَ بحثَها
عن الشمسِ
ولو اضْطُرَّتْ لتسلُّقِ
الجبلِ كلَّ يومٍ ..
وفي الوقت نفسه علَّقتِ
الاميرةُ على جدران القصر
الخارجية بيانا
قالت فيه إنَّ أيَّ
رجلٍ يَستطيعُ
أن يُساعِدهَا
في حَمْلِ الشمسِ
الى
القصرِ
سينالُ مكافأةً من المجوهراتِ ...





وفي أيامٍ
قليلة عَرفَ كلُّ الناسِ أنَّ
الاميرةَ الصغيرةَ تريدُ
حَمْلَ الشمسِ الى
القصرِ ، ولكنَّ أحداً لم يَسْتَطعْ
أن يُساعدَها ، وقرر بعضُ الناس
أنَّ الأميرةَ مجنونةٌ لأنها تطمعُ
في شيء مستحيل ،
وقَرَّرَ آخرون أنَّها أميرةٌ
حكيمةٌ لأنّها تريد
ان تُحقِّقَ شيئا
« مستحيلا »
ولكنّ الجميعَ عجزوا عن
مساعدَتِها ..

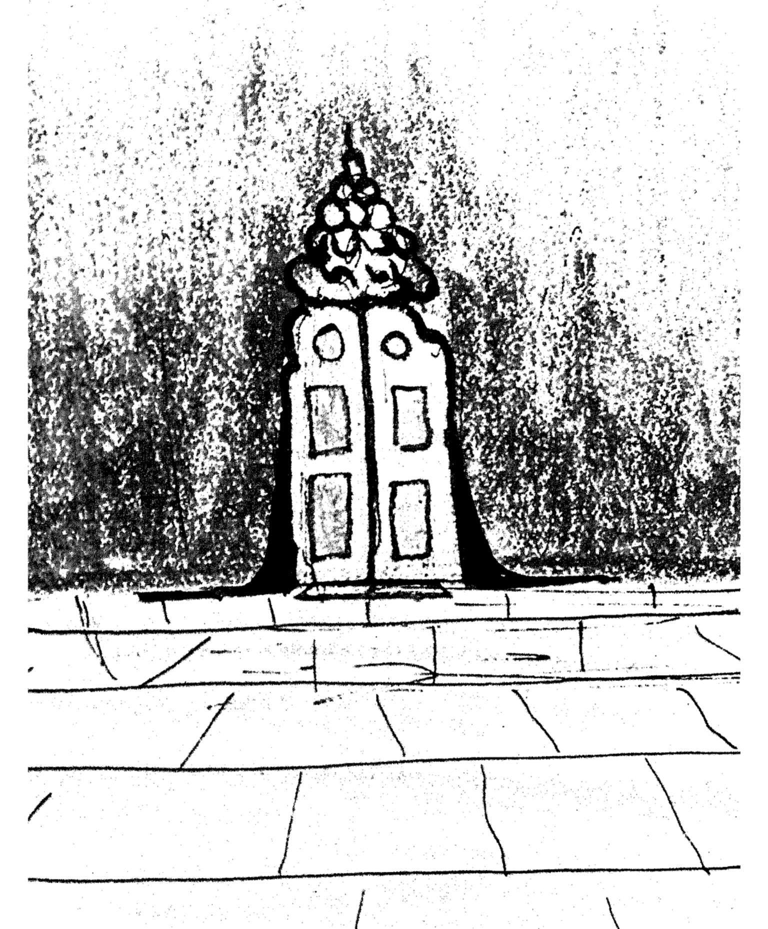


وفي صباح اليوم
التالي جاءَ الحكيمُ
العجوزُ إلى الأميرة وقال
لها إنَّ الفرصةَ التي
أُعطِيتْ لها تُوشِكُ ان
تنتهيَ ، وشَرحَ العجوز
ذلك فقال : « إنَّ أباكِ
الملكَ كان قد أوصاني قَبلَ وَفاتِهِ
ان أُشْعلَ شمعةً كبيرةً
مباشرةً بعد وفاتِه ، فإذا
ذابَتْ قبلَ ان تهتدي الى
الشمس فان
عقابَك يصيرُ
واجباً .. »

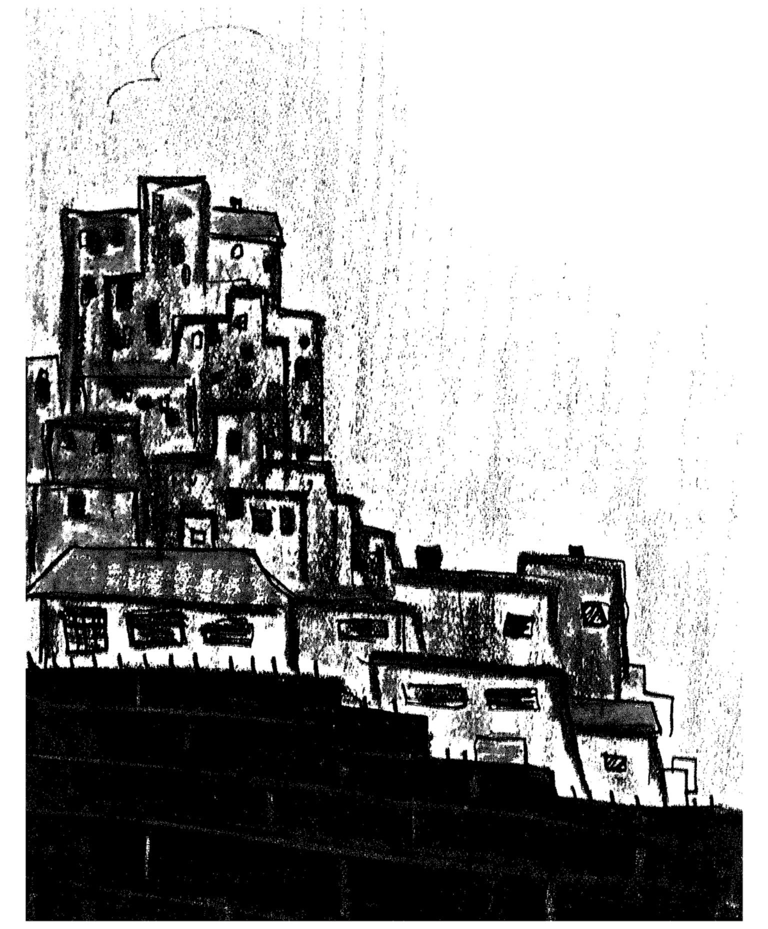


وحين خرج الحكيمُ من
الغرفة حَزِنتِ الاميرةُ حزنا
شديدا وعرفت
أنه لن يتيسّر
لها أبدا أن
تصيرَ ملكةً ، وأخذتْ
تتخيَّلُ نفسَها
في الملابس الملكية
التي لن تستطيعَ
أن تلبسَها
أبدا ...

وبينما هي غارقةٌ
في حُزنِها كان رجلٌ
عجوزٌ جداً يحاولُ
أن يَدْخُلَ الى القصرِ ، ولكنَّ
الحُرّاسَ كَانوا
يمنعونَه من الدُخول
ويحاولونَ طردَه
بشتَّى الوسائلِ ،
إلا أنَّ العجوزَ
كان عنيداً ...



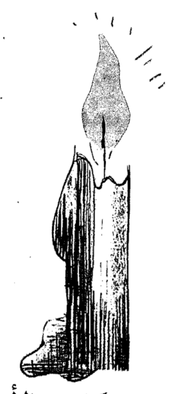
وشهدت الأميرةُ من شباكِ غُرفتِها
ذلكَ المنظرَ ، ثم سمِعتْ صَوتَ
العجوزِ يصيحُ بالحرس :
ـ « أُريدُ أن أدخُلَ لأُساعِدَ الاميرةَ »
وسمعتْ صوت الحرسِ :
ـ « هل تستطيعُ أن تساعدَها
انتَ أيُّها العجوزُ الهَرِمُ ؟ »
وعادَتْ تسمعُ صوتَ العجوزِ وهو يصيحُ :
ـ « حسناً .. قولوا لها إنه اذا لم يكُن
بوسعِ انسانٍ عجوزٍ ان يَدْخُلَ الى قصرِهَا
فكيفَ تطمعُ أن تُدْخِلَ الشمسَ اليه ؟ »
وفي تلكَ اللحظةِ أَدارَ العجوزُ ظهرهُ ومضى ، وحاولتِ
الاميرةُ أن تُناديَه إلاّ أنَّه كان قد
اختفى في الزّقاقِ المجاورِ ، وحين طَلَبَتْ
منَ الحرسِ أن يبحثوا عنه كان العجوزُ
قد صار بعيداً جداً ...



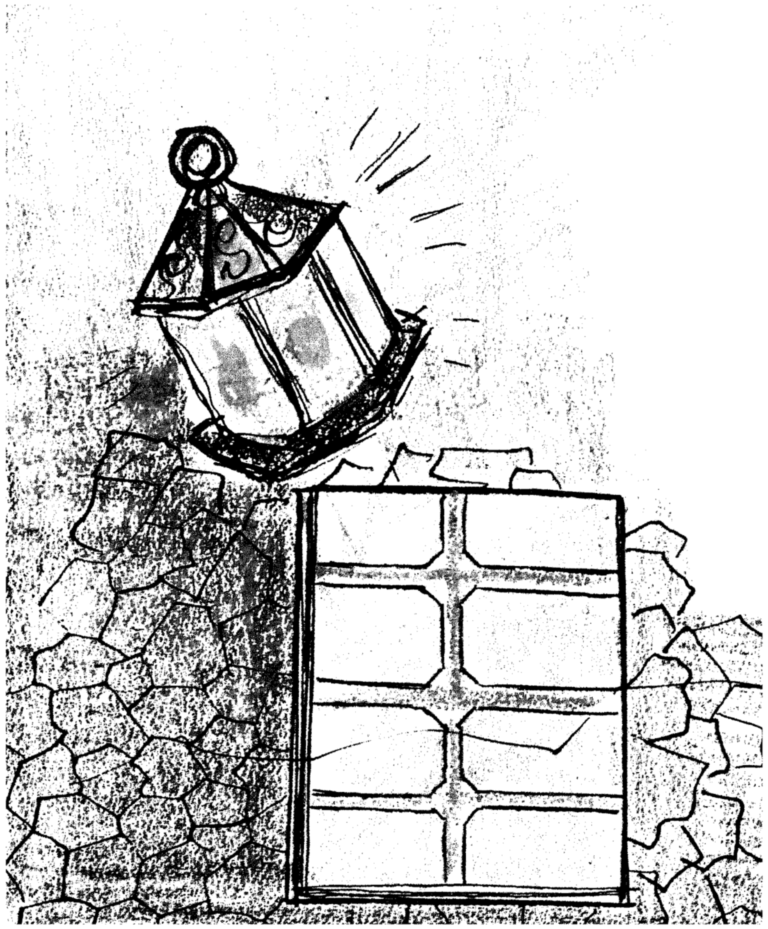


عادتِ الاميرةُ الى غُرفتِها
حزينةً يائسةً ، وأخذتْ
تُفكِّرُ فيما قالهُ العجوزُ
للحرّاسِ ، إلاّ أنّها لم تستطعْ
ان تعرِفَ ما الذي قصدَهُ ..
وفجأةً قررت أن تستدعيَ قائدَ الحرسِ .
كان قائدُ الحرسِ رجلا قويا خَدَمَ
في القصرِ أكثَرمن عَشْرِ سنوات ،
وحين دخل الى الغرفة سألتْهُ عن
الرجل العجوز الذي طردَهُ الحرّاسُ ،
وهل جاءَ الى القصرِ قبلَ ذلك ؟
فقال قائدُ الحرسِ : إنّ الرجلَ العجوزَ
يأتي كلَّ مساءٍ ، الا أنَّ الحراسَ يمنعونَه
من الدخولِ لأنَّهم يعتقدونَ أنه رجلٌ مجنونٌ ..
قالت الاميرةُ : « صِفهُ
لي » فقال القائدُ :
« إنه رجلٌ فقيرٌ يحملُ قنديلا صغيرا دائما ... »

قالت الأميرةُ :
« اذا جاء الرجلُ
العجوزُ غداً .. فاسمحوا
له ان يَدخُلَ »
إلا أنَّ الرجلَ العجوزُ
لم يأتِ في اليومِ التالي
وعادَتِ الأميرةُ
الى
حُزنِها
ويأسِها ..



وبينما كانت الأميرةُ في
غرفتِها تبكي شاهدت
ورقةً أخرى تحتَ الباب ،
فركَضتْ اليها وفتحَتْها وَقرأتْ
فيها :
« الوقتُ ضَيّقٌ .. الشمعةُ
الكبيرةُ على وَشْكِ أن
تذوبَ ، إن البكاءَ والحزنَ
لا يحلاّنِ
المشاكلَ » ..



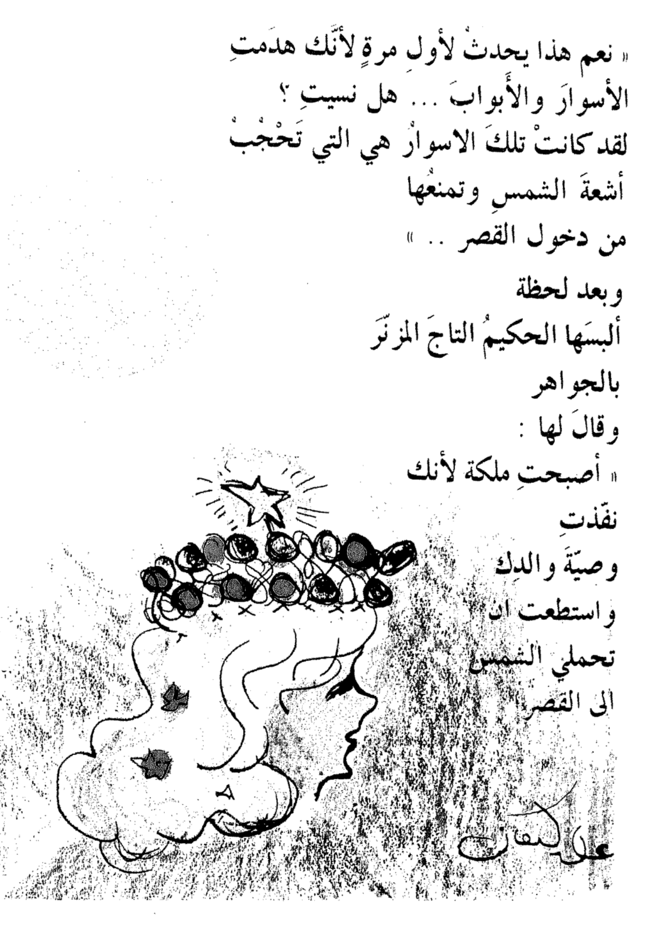
أحسّتِ الاميرةُ الصغيرةُ
بأنها يجبُ أَن تفعلَ شيئا وإلا
قَضَتْ حياتَها في صُندوق مُغلق ، وفجأةً استدعَتْ قائدَ الحرسِ
وقالت له :
ـ « أريدُ أن تُحْضِروا الى القصرِ كلَّ رجلٍ في المملكة
يحملُ قنديلا صغيرا .. »
فقال قائدُ الحرسِ متعجباً :
ـ « كلُّ ذلك من أجل العجوز المجنون ؟ »
فقالت الاميرةُ :
ـ « يجبُ ان أُجرّبَ ذلكَ العجوزَ فقد يكونُ الحلُّ عندَه »
وفي الصباح الباكر
وزّع قائدُ الحرسِ كلَّ الحُراسِ في جميع
أرجاء المملكة وأمرهم ان ينتظروا حتى المساء ،
فإذا حلَّ الظّلامُ فانَّ عليهم أَنْ يُلقوا القبضَ على
كلّ رجلٍ يحملُ فانوسا صغيرا وأنْ يرسلوه فورا الى القصر ...
وعندَ المساءِ جلستِ الاميرةُ أمامَ النافذةِ تنظرُ الى الشارعِ ،
وتنتظرُ قدومَ الرجالِ الذينَ يحملونَ القناديلَ الصغيرة ..



وفجأةً شاهدَتِ الاميرةُ منظرا
عجيبا ، ففي الأُفُقِ
المُظلمِ البعيدِ كان آلافُ الرجالِ
يحملونَ القناديلَ ويتقدمونَ نحوَ
القصرِ
من كافّةِ النواحي . . .
وبعد قليلٍ وصلَ الجميعُ إلى أبواب القصر
التي كانتْ صغيرةً ومُغلقةً ، وازدحموا أَمَامَها ،
وفي كلِّ لحظةٍ كان الرجال
حَمَلةُ القناديلِ يَتكاثرونَ دونَ أن
يستطيعوا الدخول
بسببِ الأبوابِ الصغيرةِ ،
فطلبتِ الاميرة من الخَدم أن
يَهْدِموا الأَسوارَ
العالية ،
وان يُوَسِّعوا
الأبوابَ كي يتيسَّرَ للجميعِ الدخولُ الى باحة القصر . .

ونزلتِ الأَميرةُ من غرفتها الى باحة
القصر والى جانبها قائدُ الحرسِ ليدلَّها
على الرجلِ العجوزِ ، وحين وصلت الى الباحةِ
كان الضوءُ يتوهَّج كأنه الشمسُ لكثرةِ الرجالِ
والقناديلِ ، وقال قائدُ الحرسِ :
« أيتُّها الاميرةُ ، لن أستطيعَ
أن أتعرفَ على العجوزِ لأنّ الوجوهَ جميعَها
هنا تتشابهُ ... »
وكانت الأميرةُ لا تستطيع
أن تفتح عينيها جيداً لكثرةِ الضوءِ .
وقالتْ لقائدِ الحرسِ : « لم أكنْ
أتصورُ أنّه يوجدُ في مملكتي كلُّ هذه القناديلِ »
فقال قائدُ الحرسِ : « إنّهم يخافون من اللصوصِ »
إلا أنّ الحكيمَ العجوزَ قالَ : « كلاّ .. حينَ
يهبِطُ الظلامُ يحملُ كلُّ رجلٍ قنديلَهُ الصغيرَ
ليتعرفَ على طريقِهِ .. »
ونَظَر الحكيمُ العجُوز الى الاميرةِ وقالَ :

« هل تستطيعينَ أنْ
تحملي كلَّ هذهِ القناديلَ
دَفعةً واحدةً ؟ »
قالت الأميرةُ :
« طبعاً ، لا »
فقالَ الحكيمُ :
« وكذلك الشمسُ ... إنها
أكبرُ من أن يُمْسِكَها رجل واحد او امرأة واحدة »
قالتِ الاميرةُ :
« لقدْ فهمتُ كلَّ شيءِ الآن ... إنّ القناديلَ الصغيرةَ مجتمعةً هي
الشمسُ التي قَصَدَها والدي »
فقالَ الحكيمُ :
« نعم ، ولكنْ انظري الى هناك »
وأشارَ الى النافذة ، كانت الشمسُ
قد بدأت تُشْرِقُ وتَدْخُلُ أشعَّتُها الى القصر ، وصاحتِ
الاميرةُ
« شيءٌ عجيبٌ ، هذا يحدثُ لأولِ مرةٍ » . فقالَ الحكيم :



« نعم هذا يحدثْ لأولِ مرةٍ لأنّكِ هدَمتِ
الأسوارَ والأَبوابَ ... هل نسيتِ ؟
لقد كانتْ تلكَ الاسوارُ هي التي تَحْجُبْ
أشعةَ الشمسِ وتمنعُها
من دخول القصر .. »
وبعد لحظة
ألبسَها الحكيمُ التاجَ المزنّرَ
بالجواهر
وقالَ لها :
« أصبحتِ ملكة لأنك
نفّذتِ
وصيّةَ والدِك
واستطعت ان
تحملي الشمس
الى القصر »

هـذا الكتاب

ولد غسان كنفاني في التاسع من نيسان (ابريل) عام ١٩٣٦ في مدينة عكا بفلسطين المحتلة وبعد عام ١٩٤٧ عاش بين دمشق والكويت ثم في لبنان .

بدأ غسان كتابة القصص في وقت مبكر جداً وهو في الرابعة عشرة من عمره وكان يستوحي قصصه من واقع الحياة التي عاشها . وكان انفعاله بالقضية العربية عموما والقضية الفلسطينية خصوصاً واضحاً في كتاباته فوهب حياته منذ ذلك الحين للقضية إلى أن استشهد في سبيلها في الثامن من تموز (يوليو) ١٩٧٢.

كتب مرة لأحد اصدقائه يقول : « أشعر دائماً بالاعياء والتعب .. ولكني لا أذهب للفراش ، هناك شعور خفي بأن الذين يقعدون الآن لن يقوموا أبداً ... »

لقد عبّر غسان عن قضية بلاده بأساليب عدة ، بالقصة ، بالمقال ، بالخبر ، بالسلاح ، بالحب .

أما حبه للأطفال الذين كان يرى فيهم ثوار المستقبل الحقيقيين . فقد تمثل في حبه لأطفاله ولإبنة شقيقته « لميس حسين نجم » منذ مولدها في ١٩٥٥/١/١٢ . فقد اعتاد في مطلع عيد ميلادها أن يقدم لها كتيباً صغيراً يزينه برسوم من ريشته ... يضم أشعاراً أو أساطير للأطفال .

ومن بين كتاباته إلى « لميس » قصة « القنديل الصغير » وهو أول عمل موجه للأطفال كتبه ورسمه غسان وقد كتب في مقدمته :

« ... وكي أحافظ على وعدي لك وهديتي إليك قررت أن أكتب لك قصة .. وسوف أكتب لك واحدة اسمها القنديل الصغير . تكبر معك كلما كبرت ...»

وفيما بعد كتب لها :

« ... إنني لم أهد كُتبي إلا للناس الذين احببتهم أكثر من أي شيء في عمري : لأبناء بلدي ، لأمك ، لزوجتي .. والآن لكِ انت ... »

لقد كانت « لميس » هي رمز حبه العظيم لكل الصغار الذين يطمح بعالم لهم .

وكأن كل هذه العلاقة الحميمة بين غسان « ولميس » أبت إلا أن تتوج بارتباط أبدي ... فكانت [...] الخلود لهما معاً ... وكانت « لميس » رفيقة غسان في استشهاده .

تضمُّ مجموعة من أجمل [...]
بعد قراءة قصص هذه [...]
أبطالها رغم معرفتنا أنهم لي[...]

صدر من السلسلة
- القنديل الصغير [...]
- حارسة [...]
- السمكة الصغيرة السوداء قص[...]
- البلح الأحمر [...]





كورنيش المزرعة . بناية الترك . ص ب ١٩٥/٢٣٦ . بيروت ـ لبنان